

تأسيس الدولة عند النبي الأكرم محمد (صلَّى اللهُ عليه وآله)

زينب عايد سلوم

قسم علوم القرآن/ كلية العلوم الإسلامية/ جامعة بابل

zainab.ayide@gmail.com

تاريخ نشر البحث: 2021 /12/20

تاريخ قبول النشر: 2021/10/6

تاريخ استلام البحث: 2021/9/8

المستخلص

إن الاسلام جاء بتعاليم وأحكام وقوانين لا يمكن تنفيذها إلا بوجود دولة، والإنسان يميل بطبعه للاجتماع لذلك لابد له من سلطة لتنظم أمره وتدير شؤونه، إذ أقام النبي (صلى الله عليه وآله) حكومة مركزها المدينة، ولكن ذهب بعض الكتاب المسلمين إلى القول أن النبي (صلى الله عليه وآله) لم تكن له سوى الزعامة الدينية، ولم ينشأ حكومة، اعتمدت في مادة البحث المنهج التاريخي التحليلي وتوصلت إلى أن النبي (صلى الله عليه وآله) أنشأ حكومة ولم تكن مهمته مقتصرة على الإبلاغ والانذار، وكذلك أن مفهوم الدولة خضع لتطور تاريخي فمن أنكر أن النبي (صلى الله عليه وآله) لم ينشأ حكومة فقد أجرى مقارنة بين الحكومة بمفهومها الحديث وبين الحكومة في زمن النبي (صلى الله عليه وآله) فالنبي أنشأ حكومة ونظام بما يناسب المجتمع الذي عاش فيه.

الكلمات الدالة: الحكومة، تأسيس، النظرية

Prophet Muhammed (peace be upon him and his progeny) and State Establishment

Zainab Ayyed Sallom

Dept. of Quran Sciences / College of Islamic Sciences / University of Babylon

Abstract

Islam came with instructions, rules and have that can only be implemented in the presence of a state, and human by nature tends to meet, so he must have the authority to organize his issues and manage his affairs, as the Prophet Mohammed (peace be upon him) established # government which is center is Medina, but some Muslim writers went to say that the Prophet Mohammed (peace be upon him) did not establish a government while he had only religious leadership in the research subject, the historical analytical method was adopted, and it came to the conclusion that the Prophet (peace be upon him) established a government and his mission was not limited to informing and warning. and also that the concept of the state underwent a historical development, so whoever denies that the Prophet Mohammed (peace be upon him) did not arise Government while he made a comparison between the government in its modern concept and the government in the time of the Prophet (peace be upon him), The Prophet established a government and a system that suits the society in which he lived.

Keywords: government, foundation, theory

1، المقدمة

الحمد لله رب العالمين، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، ومن يهد الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً (صلى الله عليه واله) عبده ورسوله.

جاء الإسلام بشريعة عادلة تحكم علاقته مع مجتمعه والمجتمعات الأخرى فإن جانباً كبيراً من هذه الشرائع لا يمكن تحقيقه من دون وجود دولة، وكذلك أن الإنسان يميل بطبعه إلى الاجتماع، فلا يمكن الحصول على المتطلبات إلا في ظل الاجتماع، فالإنسان لا يمكن مواصلة حياته إلا في ظل وجود حياة اجتماعية تحترم حقوق الجميع، ولكن الإنسان بطبعه قد جبل على حب النفس والمال والحرية في كل ما يحتاجه فذلك يؤدي إلى الاختلاف في الآراء مما يؤدي إلى الصراع، لذلك لابد من قوانين وأحكام وقوة منفذة لهذه القوانين والأحكام التي تمنع من الجدل والتعدي وصراع الإنسان مع أخيه، وتوجه الإنسان إلى أهدافه ومصالحه.

فما حقيقة وجود الدولة في الرؤية الإسلامية، وهل يملك الإسلام كمنهج في التفكير والحياة صورة عن طبيعة الدولة ومؤسساتها وسلطاتها وأدواتها التنفيذية؟ وبعبارة بديلة هل يملك الإسلام رؤية فلسفية عن الدولة. إن هذا التساؤل: قد اختلف الباحثون فيه إلى فريقين الأول: يرى أن الإسلام دعوة دينية تستهدف إخراج الناس من الظلمات إلى النور من دون أن يكون للإسلام رؤية وهيكلية عن الدولة، ولسعة الموضوع اقتصر على ذكر آراء ثلاثة من الباحثين الذين قالوا: إن النبي (صل الله عليه واله) لم ينشأ دولة.

الثاني: يرى أن الإسلام عقيدة وكيان ومنهج للتفكير والحياة، فإقامة الدولة من كبريات الواجبات الدينية التي تترتب عليها العديد من العبادات والشعائر.

1.1. خلفية البحث: هناك العديد من الدراسات تطرقت للحديث عن دولة النبي (صلى الله عليه واله) منها: دولة الرسول (صل الله عليه واله) في كتاب خلاصة الأخبار في أحوال النبي المختار للاسكداري (1038هـ) ميثم حمزة جبر الجبوري، دراسة تحليلية، أطروحة دكتوراه، جامعة كربلاء، كلية التربية للعلوم الإنسانية، حيث يشير الباحث إلى إجراءات النبي (صلى الله عليه واله) التنظيمية والإدارية في تثبيت أركان الدولة.

1.2. منهج البحث: تعتمد الدراسة على المنهج التاريخي - التحليلي، وذلك ببيان أصل ومشروعية وجود الدولة من سيرة النبي (صلى الله عليه واله).

1.3. أهمية البحث: فإن بحثنا يستهدف بيان أصل ومشروعية وجود الدولة وحضورها في الرؤية الإسلامية من حركة النبي (صلى الله عليه واله) وسيرته.

2. الإطار النظري

2.1. النظرية التي تعتقد أن النبي لم ينشئ دولة

يذهب لذلك مجموعة من الباحثين والمفكرين وعلى رأسهم علي عبد الرزاق، وتبعه جمهور من العلماء والمحدثين والعلمانيين ومنهم، محمد عابد الجابري، وعبد المجيد الشرفي.

1. نظرية علي عبد الرزاق: وهنا نطرح التساؤل الذي طرحه علي عبد الرزاق هل كان النبي صاحب رسالة ودعوة دينية أو كان أيضًا صاحب دولة سياسية؟

يصل علي عبد الرزاق إلى فكرته المركزية وهي: أن النبي (صلى الله عليه واله) كان رسولاً وداعية، لا ملكاً وسلطاناً، فالنبي (صلى الله عليه واله) ما كان إلا رسولاً لدعوة دينية خالصة للدين لا تشوبها، نزعة ملك ولا دعوة لدولة وإنه لم يكن للنبي (صلى الله عليه واله) ملك ولا حكومة وإنه لم يقيم بتأسيس مملكة، بالمعنى الذي يفهم سياسة من هذه الكلمة ومرادفاتها، ما كان إلا رسولاً كالرسل السابقين فكان عيسى (عليه السلام) رسول الدعوة المسيحية وكان يدعو إلى الإذعان إلى قيصر، وكان يوسف (عليه السلام) عاملاً في دولة الريان بن الوليد، فلا يوجد في تاريخ الرسل من جمع الله (عز وجل) بين الرسالة والملك إلا قليلاً. إن الرسالة تستلزم للنبي (صلى الله عليه واله) نوعاً من الزعامة في قومه والسلطان عليهم ولكن ذلك ليس في زعامة الملوك وسلطانهم على رعيته، فولاية الرسول (صلى الله عليه واله) على قومه تمتاز بأنها ولاية روحية منشؤها إيمان القلب، إما ولاية الحاكم ولاية مادية منشؤها إخضاع الجسم. [1: 64-69]

من الواضح أن عبد الرزاق قلق من معضلة التعابير والمصطلحات لهذا ينفي مفهوم الدولة والسياسة، وهذا مغاير لمفهوم أن النبي (صلى الله عليه واله) هو رأس الجماعة التي تمثل وحدة اجتماعية. [2: 469]

ذكر عبد الرزاق أن رسالة النبي (صلى الله عليه واله) اختصت بأنها للناس أجمعين وقدر له أن يبلغها كاملة، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله، فسلطان النبي (صلى الله عليه واله) بمقتضى رسالته سلطاناً عاماً، وحكمه شاملاً، وأمره مطاعاً في المسلمين، فالسلطان ترسله السماء من عند الله تعالى إلى عباد الله المرسلون تلك قوة قدسية لا تشابهها قوة الملوك، فزعامة الدعوة الصادقة إلى الله (عز وجل) وإبلاغ رسالته، لا زعامة الملك، وحكم النبوة ولا حكم السلاطين. [1: 67-69]

استدل عبد الرزاق بنصوص من القرآن الكريم التي تؤكد أن النبي (صلى الله عليه واله) ليس بوكيل ولا حفيظ ولا جبار ولا بمسيطر ولا برقيب بل هو مبشر ونذير، منها قوله تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا} (سورة الفرقان: 56)، {فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} (سورة المائدة: 92)، {إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} (سورة النمل: 91)، {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (سورة سبأ: 28).

ومن السنة الشريفة أن رجلاً جاء للنبي (صلى الله عليه واله) لحاجة فقام بين يديه فأخذته رعدة فقال النبي (صلى الله عليه واله) إني لست بملك وإنما أنا ابن امرأة من قريش، وورد في بعض الروايات أن النبي (صلى الله عليه واله) خير بين أن يكون عبداً رسولاً وبين أن يكون ملكاً فاختر العبودية. [1: 72-76] فتوصل عبد الرزاق

إلى اجتماع القرآن والسنة والعقل لإثبات أن النبي (صلى الله عليه واله) لم يكن حاكماً ولم ينشأ دولة، ويفهم من ذلك أن الجهاد النبوي إنما كان تكريس لوجود الإمة وقوتها وكيونتها. العقبة التي يواجهها عبد الرزاق أن تشريعات الاسلام الفقهية والقانونية من نظام تجاري، وجنائي، جزائي كلها تعود إلى تكوين دولة ولكن عبد الرزاق قال: إن كل ما جاء به الاسلام هو شرع ديني خالص للباري (عز وجل) ولمصلحة البشر لا غير. [2: 470]

2. نظرية عبد المجيد الشرفي: إن النبي (صلى الله عليه واله) لم يتخذ لقباً من الألقاب كالملك والأمير التي تدل على رئاسة الدولة المزعومة، فالدولة لابد أن يكون لها حد أدنى من المؤسسات بينما لم يكن للنبي (صلى الله عليه واله) موظفون ولا عمال ثابتون ولا دواوين، كل ما في الامر انه يعين شخصاً ما للقيام بمهمة ما مثل الإمارة على المقاتلين في غزوة من الغزوات أو القضاء في بعض النواحي، فالفرق بين النبي (صلى الله عليه واله) وبين رؤساء القبائل أن نفوذ الرؤساء مقتصر على قبائلهم، أما نفوذ النبي (صلى الله عليه واله) يخرق الانتماءات القبلية ويعلو عليها من دون أن يلغيها أما سلطة رؤساء القبائل فمستمدة من مكانتهم لدى أفرادها بينما النبي يستند إلى مرجعية دينية لا تتوفر لهم. [3: 76]

3. نظرية محمد عابد الجابري: يرى الجابري أن المسلمين في زمن الصحابة لم ينظروا إلى الإسلام على أنه دولة، لقد كانوا ينظرون إلى الإسلام على أنه الدين الذي يختم الأديان لذلك نسبوا الأمة إلى الرسول والإسلام بقولهم: أمة محمد وأمة الإسلام، والأمة كيان اجتماعي لا يتوقف وجودها على أي تنظيم سياسي. [4: 21]، عمل الجابري إلى تأييد مدعاه بالشواهد الآتية:

1. لم يكن للعرب حين البعثة النبوية ملك ولا دولة، فالنظام الاجتماعي في مكة والمدينة نظام قبلي لا يرتقي إلى مستوى الدولة، ذلك أن قوام الدولة بعدة أمور أرض ذات حدود معلومة، وجماعة من الناس تسكن هذه الأرض، وسلطة مركزية، لم يعرف العرب مثل هذه السلطة.

2. بدأ المسلمون مع البعثة المحمدية يمارسون الدين الجديد كسلوك جماعي، أخذ هذا السلوك يتسع مع تطور الدعوة إلى أن بلغ ذروته بعد الهجرة إلى المدينة، أن الرسول (صلى الله عليه واله) كان قائد الجماعة ومرشدها ولكنه رفض أن يسمى ملكاً أو رئيس دولة. لقد خاض النبي (صلى الله عليه واله) حروباً ونظم شؤون الجماعة، وعين عمالاً بوصفه صاحب دعوة وناشر دين جديد لا بوصفه زعيماً سياسياً.

3. تطور الدعوة المحمدية فبلغت مع نهاية الدعوة درجة من الاتساع جعلت أصحاب النبي (صلى الله عليه واله) يشعرون أن غياب النبي سيترك فراغاً، فانتهت الدعوة إلى تأسيس دولة أو ما يشبه الدولة.

4. تحدث القرآن الكريم بوضوح عن الأمة {كنتم خير أمة أخرجت للناس} (سورة آل عمران: 110)، وتجنب الحديث عن النظام السياسي الاجتماعي الذي أصبح يجسد تلك الأمة في الدولة. [4: 17]

الذين أنكروا أن يكون الرسول (صلى الله عليه واله) سياسياً ولم يؤسس دولة استندوا إلى القرآن الكريم في وصف الرسول (صلى الله عليه واله) بالنبي والرسول ولم يصفه بصفة سياسي، وتمسكوا بالآيات التي حصرت حق النبي (صلى الله عليه واله) بالإنداز والرسالة والتبشير في قوله تعالى {إن أنا إلا بشير ونذير} (سورة

الأعراف: 188)، {إنما أنت منذر} (سورة الرعد: 7) لو كان للنبي (صلى الله عليه واله) شأن للحكومة غير الرسالة، لكان لابد من ذكر هذا الحق في السلطة والحكم في القرآن الكريم، ويذهب الباحثون إلى عدّ زعامة النبي (صلى الله عليه واله) زعامة دينية منبثقة من رسالته [5: 200]، ونبوته، فزعامة النبي كانت فاقدة لأبسط النظم التي تقع للحكومة من وضع ديوان لمحاسبات الدخل ومن ضبط الشؤون الداخلية والخارجية ففراسة النبي لم تكن شاملة لإقامة الدولة، فتكون ولاية النبي رسالية لا ولاية سياسية. [6: 138-139]

للرد على نظرية عبد الرزاق، ومحمد عابد الجابري، وعبد المجيد الشرفي ممن اعتقدوا ان النبي (صلى الله عليه واله) لم ينشئ دولة تمسكوا بالآيات التي تدل على أن وظيفة النبي (صلى الله عليه واله) تقتصر على الإبلاغ والإنذار، وأنه لو كان للنبي (صلى الله عليه واله) غير وظيفة الرسالة والنبوة لكان من الأحق أن يشار إليها في الآيات القرآنية، ولكن بالعودة إلى القرآن الكريم نجد أن وظيفة النبي (صل الله عليه واله) لم تكن مقتصرة على الإنذار والإبلاغ، ففي القرآن الكريم آيات تدل على حث المؤمنين على قتال المشركين، وجهاد المنافقين والكفار نذكر منها قوله تعالى {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ} (سورة الانفال: 65)، وقوله تعالى {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ} (سورة التوبة: 73).

قال تعالى {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ} (سورة الأحزاب: 36) فتدل الآيات على أن النبي (صلى الله عليه واله) تولى عدة مناصب مختلفة. [7: 94]

أغفل الجابري وعبد الرزاق عن حقيقة أن ألية الدولة في كل مجتمع تتلاءم مع الظروف الاجتماعية الخاصة، ففي المجتمع الخالي من التعقيد، من الطبيعي أن تقتصر الحكومة للتعقيد والجهزة المتنوعة، كما تجاهل الجابري وعبد الرزاق الوضع الاجتماعي في عهد النبي (صلى الله عليه واله) فهما يحملان تصوراً خاصاً للدولة فبسبب فقدان التصور الخاص في عهد النبي (صلى الله عليه واله) فحكما بعدم وجود دولة. [7: 101]

أما في قول أن النبي (صلى الله عليه واله) لم يشكل دولة لمجرد أن النبي (صلى الله عليه واله) لم يسم نفسه ملكاً، أو أميراً، فالواقع التاريخي الذي لا يمكن نكرانه يبين أن زعامة سلطة مركزية سياسية في المدينة كانت على عهد النبي (صلى الله عليه واله) والذي لا جدال فيه أن الحكومة المنبثقة عن الإسلام، وتعاليمه، تختلف من حيث الشكل، والقالب، والعلاقة مع الأمة، عن القوالب التي كانت معلومة آنذاك. [7: 102]

2.2. النظرية التي تعتقد أن النبي أنشأ دولة

ذهب لذلك جمهور فقهاء المسلمين وهي النظرية المشهورة [8: 81]، واستدل أصحاب هذه النظرية بأدلة

منها:

أولاً: القرآن الكريم

1. قال تعالى {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾} (سورة الأنبياء)

قال الطبرسي: أن هذه الأرض هي الأرض التي يرثها أمة محمد (صلى الله عليه واله) بالفتوح بعد إخراج الكفار [9: 88/7]. إن هذه الآية تبين وعد المؤمنين بميراث الأرض التي لقوا فيها الأذى وهي أرض مكة وما

حولها، أي مصيرها بيد عباد الله الصالحين، فتكون بشارة بصلاح حالهم في الدنيا وإن إطلاق اسم الأرض ما يصلح لإرادة أن سلطان العالم سيكون بيد المسلمين ما استقاموا على الإيمان والصلاح. وقد صدق الله وعده. [10: 161: 17] قال محمد مهدي شمس الدين: أن في هذه الآيات إشعاراً بأن وضع المسلمين لن يدوم على ما هو عليه في مكة، وأن لهم في المستقبل دولة وسلطاناً، وإن المكذبين سيرون هذه الحقيقة في وقت قريب وإنهم سينالون عقابهم. [8: 82]

2. قال تعالى {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} (سورة النحل)

في الآية وعد الباري (عز وجل) بتغيير الحال في الدنيا وينبغي أن يكون تغييراً في الوضع السياسي للمسلمين والظاهر أن هذه الآية في شأن مهاجري الحبشة الذين فارقوا أوطانهم وديارهم فراراً بدينهم وإتباعاً للنبي (صلى الله عليه واله) [8: 82] من بعد ما تعرضوا للأذى الذي ألجأهم إلى الهجرة من تعذيب وفتنة، فهجرة من هاجر من المسلمين إلى الحبشة كانت تظهر من مظاهر الاضطهاد السياسي للمسلمين [10: 158/14: 158]، فالحسنة تشتمل على تعويضهم دياراً خيراً من ديارهم، ووطناً خيراً من وطنهم، وهو المدينة، وأموالاً خيراً من أموالهم، وهي ما نالوه من المغنم ومن الخراج. [9: 120-121]

3. قال تعالى {الَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} (سورة الزمر: 36)

في هذه الآية إشعار واضح بالحماية [8: 82]، أي أن الباري (عز وجل) الذي أفردته بالعبادة هو كافيك شرّ المشركين وعداوة من يعاديه وباطل آلهتهم التي عبدوها من دونه ووعد ضمنى بالنصر في المستقبل على قوى الشرك [9: 304/8: 304]، التي يهدد بها المشركون النبي (صلى الله عليه واله) والمستضعفين من المسلمين بقولهم إنما نخاف أن تهلك آلهتنا. [10: 12/24: 12]

ثانياً: السنة الشريفة

ورد الحديث عن فكرة الدولة بكونها من المسلمات، والضرورات التي لا يسأل عنها ولكن يسأل عن تفاصيلها، لم يرد في السنة سؤال المسلمين للرسول (صلى الله عليه واله) عن أصل فكرة الدولة وكان المسلمون يسألون عن كل شيء يرتبط بحياتهم مما ينبغي السؤال عنه.

فالمسلمون سألوا النبي (صلى الله عليه واله) عن القتال في الأشهر الحرم وعن الروح والخمر والميسر وعن اليتامى وأحوالهم وعن الساعة وحفلت السنة بآلاف الأسئلة وعن الانفال وعن الجبال ولكنهم لم يسألوا عن أصل تشريع الدولة، لأنهم يدركون ضرورتها من إدراكهم لطبيعة كونهم مجتمعاً سياسياً لا بد له من دولة وأنهم عرفوا شرعية الدولة من طبيعة الشريعة الإسلامية ومن مزاوله النبي (صلى الله عليه واله) لشؤون الحكم. [8: 74-75].

من الشواهد على كون الدولة من المسلمات في الشريعة الإسلامية:

ما رواه الشريف الرضي عن الإمام علي (عليه السلام) في رده على الخوارج لما سمع قولهم: ((لا حكم إلا لله)) قال: ((كلمة حق يراد بها باطل. نعم إنه لا حكم إلا لله، ولكن هؤلاء يقولون: لا إمرة. وإنه لا بد للناس من أمير بر، أو فاجر، يعمل في أمرته المؤمن، ويستمتع فيها الكافر، ويبلغ الله فيها الأجل، ويجمع به الفبي، ويقاتل به العدو، وتأمين به السبل، ويؤخذ به للضعيف من القوي، حتى يستريح بر، ويستراح من فاجر)). [11: 307/2]

حديث الدار الذي رواه الطبري في تاريخه بسنده عن ابن عباس ورواه غيره في مكة، في السنة الثالثة من مبعث النبي (صلى الله عليه واله) حين نزل قوله تعالى { وأنذر عشيرتک الأقربين } (سورة الشعراء: 214)، أمر رسول الله (صلى الله عليه واله) عليا (عليه السلام) أن يصنع طعاما ويجمع بني عبد المطلب حتى أكلهم وأبلغهم ما أمرت به ودعا الامام علي (عليه السلام) بني عبد المطلب وهم أربعون رجلا، ثم تكلم رسول الله (صلى الله عليه واله) فقال: يا بني عبدالمطلب إني والله ما أعلم شابا في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتم به، إني قد جئتم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أدعوكم إليه، فأياكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخي، ووصي، وخليفتي فيكم؟ قال علي بن أبي طالب (عليه السلام): فأحجم القوم جميعا، وقلت - وإني لأحدثهم سنا، وأرمصهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحمشهم وإني ساقا أنا يانبي الله أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتي، ثم قال: إن هذا أخي، ووصي، وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا). [12: 62/2]

ثالثاً: الشواهد التاريخية

يرى بعض الباحثين أن النبي (صلى الله عليه واله) قام في المدينة بتشكيل حكومة علاوة على القيادة الدينية ومقام الرسالة فقد كان النبي (صلى الله عليه واله) صاحب ولاية سياسية [6: 140]، ما يمثل شاهداً تاريخياً على إقامة الدولة الدينية:

أولاً: أرسى النبي (صلى الله عليه واله) الوحدة بين القبائل العربية المتفرقة [13: 293/2] ، بعد وصول النبي صلى الله عليه واله إلى المدينة وضع ميثاقاً لكل سكان المدينة، يوضح ما لهم وما عليهم، ويعرفهم بمصدر الحكم والتوجيه، ويجدد لهم وسائل التعامل داخل المدينة وخارجها، حتى عد بعضهم هذا الميثاق بأنه أول دستور إسلامي شرعه الله تعالى لحكم دولة الإسلام في المدينة. وتنظم الوثيقة العلاقة بين قبائل المدينة جميعاً، وفي إطار قبول الجميع لحكم الله ورسوله (صلى الله عليه واله) الذي يضمن لكل دينه وكرامته وحريته. وبهذا الميثاق بدأت الملامح السياسية لدولة المدينة تترسخ، وتخضع لحكم تشريع واحد هو الإسلام، ويقودها إمام واحد هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والكل فيها مواطنون يتمتعون بحقوق المواطنة، وعليهم واجباتها. [14: 123] ومن بنود الوثيقة:

البند الأول:

1-أنهم أمة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم (أي يدفعون دية الدم)، وهم يقدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

- 2- وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى، وكل طائفة تقضى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وهكذا بني ساعدة، وبني جشم، وبني النجار، وبني عمرو بن عوف، وبني النبيت، وبنو الأوس كل على ربعتهم.
- 3- وإن المؤمنين لا يتركون مفرحا بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء وعقل، وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيسة ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، وإن أديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم.
- 4- وإنه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فإنه قود به إلى أن يرضى ولي المقتول، وإن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم إلا قيام عليه.
- 5- وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس.
- 6- وإن سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم.
- 7- وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه.
- 8- وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين، ولا متناصر عليهم.
- 9- وإنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا ولا يحول دونه على مؤمن.
- 10- وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا ولا يؤويه، وإنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل. [293/2:13]

البند الثاني:

- 11- وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين —
- 12- وإن يهود بني عوف أمة من المؤمنين لليهود دينهم، وللمسلمين دينه، مواليهم وأنفسهم
- 13- وإن لليهود بني النجار، وبني الحارث وبني ساعدة، وبني جشم، وبني الأوس وبني ثعلبة، وبني الشطيبة مثل ما لليهود بني عوف، من الحقوق والامتيازات. وأنه لا يخرج منهم أحد (من هذه المعاهدة) إلا بإذن محمد (صلى الله عليه واله).
- 14 - وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصيغة، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم.

البند الثالث:

- 15- وإن بينهم النصر على من دهم يثرب، وإذا دعوا (أي دعي المسلمون اليهود) إلى صلح يصلحونه، ويلبسونه، فإنهم يصلحونه ويلبسونه. وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك (الصلح) فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين.
- 16 - وإن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة.
- 17 - وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم، وإنه من خرج من المدينة آمن، ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم أو أثم. ثم ختمت هذه المعاهدة بالعبارة التالية: {وإن الله جار لمن برّ واتقى، ومحمد (صلى الله عليه واله) [323/2:15]}

ثانياً: ورد في اللغة القرآنية التعبير عن الحكومة والسلطة السياسية بكلمة (الأمر) [241:18] في قوله تعالى {وشاورهم في الأمر} (سورة آل عمران: 159) أمر الله (عز وجل) النبي (صلى الله عليه واله) بأن يشاور المسلمين ويقف على وجهات نظرهم، عندما علم النبي (صلى الله عليه واله) بخروج قريش لحماية قوافلهم استشار النبي (صلى الله عليه واله) الناس ووعدوه بالسمع والطاعة والمضي في هذا الطريق، وكذلك استشار النبي (صلى الله عليه واله) المسلمين قبل الدخول في معركة أحد في كيفية مواجهة العدو فاستقر رأي الأغلبية على التعسكر عند جبل أحد. [748/16:2]

وقوله تعالى {وأمرهم شورى بينهم} (سورة الشورى: 38) تشير الآية إلى قضية اجتماعية مهمة وهي الشورى فالرسول (صلى الله عليه واله) كان يتشاور مع أصحابه وأنصاره في الصلح والحرب والقضايا الاجتماعية المهمة والتنفيذية والامور المهمة الاخرى. [552/15:16]

لو كانت زعامة النبي (صلى الله عليه واله) مختصة بالزعامة الدينية لم يكن هناك معنى للمشورة، وهذا يدل على أن الأمر الوارد في الآيتين يشير إلى التدبير والقرار السياسي. [154:6]

ثالثاً: وجود رئيس دولة وهو النبي (صلى الله عليه واله) الذي اختاره الله نبياً وسماه ولياً، وأمر الباري (عز وجل) بطاعة الرسول (صلى الله عليه واله) ف إدارة المجتمع والشؤون السياسية والاجتماعية والقضائية ما جاء في قوله تعالى {أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم} (سورة النساء: 59)، فبايعه الذين آمنوا والتزموا بطاعته. [39:17] فعقد النبي (صلى الله عليه واله) اتفاقات بين المهاجرين والانصار، ووثق العهود بين المسلمين واليهود، عين الولاة والعمال على البلاد المفتوحة، واستقبل الوفود والرسول، ويقود الجيش بنفسه أو يعين قائده، وأرسل الرسل إلى الحكام، ويفصل المنازعات، ويعين نائبا له على العاصمة إذا تركها، لو كان الاسلام لا شأن له سلطة والدولة لما فعل الرسول (صلى الله عليه واله) ذلك. [79:18]

رابعاً: السلطة التنفيذية والشرع: كل من يخالف الشريعة ويخرج على قوانين الدولة يعاقب فعوقبت جماعات تعتبر من رعايا الدولة مع انها لا تدين بدين الاسلام [241:18]، فالشريعة الإسلامية هي مصدر الدستور في الدولة ومنها تشتق الانظمة والقوانين [90-89:19]. بنو قينقاع أول اليهود الذين نقضوا العهد وأظهروا البغي والحسد وصاروا يكتبون المشركين وقطعوا ما بينهم وبين رسول الله (صلى الله عليه واله) من العهد وأنشؤوا حرباً بينهم وبين المسلمين [230/2:20]، بنو قريظة: كان بين بني قريظة والنبي (صلى الله عليه واله) عهد على أن لا يضروا به ولا يتحالفوا مع عدو فنقضوا العهد وتحالفوا مع قريش في غزوة الأحزاب وأعانواهم بالسلاح [10/10:21]، وبنو النضير لو يوفوا بالعهد الذي بينهم وبين الرسول (صلى الله عليه واله) حسداً منهم وبغياً، فلما ذهب الرسول (صلى الله عليه واله) إلى بني النضير بحجة استقراض منهم مبلغ من المال كدية لقتيلين من بني عامر اللذين قتلتهما عمرو بن أمية، حاول اليهود اغتياله، فعوقبوا كجماعات خارجة عن قانون الدولة. [101/3:13].

خامساً: شريعة الدولة أو القانون النافذ من القرآن الكريم والسنة المطهرة، فالشريعة الاسلامية هي صاحبة الأمر والنهي وتنظيم الشؤون [241:18]، يعتمدها الناس في تنظيم أمورهم وشؤون حياتهم وحل مشكلاتهم، قال

تعالى { يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول } (سورة النساء: 59). فالشريعة الإسلامية هي مصدر الدستور في الدولة، ومنها تشتق القوانين والأنظمة التي تنظم شؤون الرعية والدولة. [19: 89-90]

سادساً: المعاهدات: مثل معاهدة صلح الحديبية [18: 243] التي عقدت بين الرسول (صلى الله عليه واله) والمسلمين وقريش من جهة أخرى، في السنة السادسة من الهجرة وفي شهر ذي القعدة خرج الرسول (صلى الله عليه واله) معتمراً لا يريد حرباً ومعه المهاجرين والأنصار وكان عددهم ألفاً وخمسمائة وساق معه الهدى ولبسوا إحرامهم ليعلم الناس أنه خرج زائراً ومعظماً للبيت، عندما علمت قريش بمسيره تهيأت لصدده وصممت على منعه من الدخول إلى مكة، لما بلغ النبي (صلى الله عليه واله) الحديبية أمر أصحابه بالنزول فيها. [22: 646/2] فبعث الرسول (صلى الله عليه واله) عثمان بن عفان إلى قريش ليخبرهم أن النبي (صلى الله عليه واله) جاء زائراً معظماً للبيت ولم يأت للحرب، فخرج إلى مكة حتى أتى قريش وأبا سفيان فبلغهم ما أرسله به النبي (صلى الله عليه واله) لم تمض فترة حتى شاع خبر مفاده أن عثمان قتل فطلب النبي (صلى الله عليه واله) تجديد البيعة فبايعوه أصحابه تحت الشجرة فسميت ببيعة الرضوان فبايعه الناس على مواصلة الجهاد حتى آخر نفس، عندما علمت قريش بأمر المبايعة، أرسلت سهيل بن عمرو للمصالحة مع النبي (صلى الله عليه واله) ولا يكن في صلحه أنه لا يدخل مكة في هذا العام أبداً ثم جرى الصلح بينهما [12: 281/2]، فكان من بنود معاهدة الحديبية:

1. وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض.
2. أنه من أتى رسول الله من قريش بغير إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه.
3. وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عهد قريش وعهدهم دخل فيه.
4. تخلي قريش مكة للنبي (صلى الله عليه واله) فيدخلها النبي (صلى الله عليه واله) بأصحابه لمدة ثلاثة أيام. [23: 193/4]

سابعاً: الجيوش والتحركات العسكرية المنظمة: لم تتوقف هذه التحركات ولا تجيش الجيوش طوال حياة الرسول (صل الله عليه واله) كرئيس دولة. **ثامناً: الشاهد الآخر على وجود الدولة، الجباية المالية عين النبي (صلى الله عليه واله) عمال الصدقات لجباية المال.** [18: 242-243] وفرض الضرائب كما هي محددة في القرآن الكريم والسنة وتعيين جباة لتحصيل الضرائب، كما أخذ خمس الغنائم التي هي ضريبة الدولة على غنائم الحرب والأموال الصادرة من الأعداء المحاربين، وكذلك فرض ضريبة على أهل الذمة لانهم لا يساهمون بالنفقات الحربية ولا يدخلون في حروب دينية فهذه الضريبة ضريبة الدفاع عنهم. [8: 165-166]

تاسعاً: المراسلات الدبلوماسية: مثل رسالته إلى كسرى، وملك الحبشة، ومقوقس، وهرقل عظيم الروم [18: 243]

1. رسالة النبي (صلى الله عليه واله) الأولى إلى النجاشي ملك الحبشة التي جاء فيها: ((بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الملك القدوس المؤمن المهيمن، وأشهد إن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطاهرة الطيبة الحسنة، فحملت

بعيسى فخلقه من روحه ونفخته كما خلق آدم بيده ونفخه، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته، وأن تتبني فتؤمن بي وبالذي جاءني، فإني رسول الله وقد بعثت إليك ابن عمي جعفرًا ومعه نفر من المسلمين، فإذا جاؤوك فاقرهم ودع التجبر فإني أدعوك وجنودك إلى الله (عز وجل)، وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى)). [23: 104/3]

2. رسالة النبي (صلى الله عليه واله) إلى المقوقس عظيم القبط جاء فيها: ((بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤثك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم القبط أي الذي هم رعاياك، قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأننا مسلمون}) (سورة آل عمران: 64) [24: 349/3] هذه المظاهر لا تدل إلا على وجود دولة حقيقة.

الخاتمة

يتضح لنا مما تقدم:

1. إن مفهوم الدولة خضع لتطور تاريخي، فمن أنكروا أن النبي (صلى الله عليه واله) لم ينشأ دولة كانوا يجرون مقارنة بين الحكومة بمفهومها الحديث وبين الحكومة النبوية.
2. لا يمكن أن نستدل بقول الجابري في أن النبي (صلى الله عليه واله) لم ينشأ دولة لمجرد أن مصطلح الدولة لم يستخدم آنذاك أو أن النبي (صلى الله عليه واله) لم يسم نفسه ملكاً، فإن الحكومة التي أنشأها النبي (صلى الله عليه واله) تختلف عن القوالب التي كانت معروفة آنذاك.
3. تدل الشواهد التاريخية على أن النبي (صلى الله عليه واله) أنشأ دولة تتمتع بالأجهزة التي تتناسب مع البساطة السائدة في مجتمع الجزيرة العربية والتي لم تسمح بإنشاء نظام معقد.
4. إن الإسلام يتضمن أحكام وقوانين، فهذه الأحكام لا يمكن تنفيذها في المجتمع من دون وجود دولة.
5. يصور علي عبد الرازق أن النبي (صلى الله عليه واله) مجرد مبلغ للرسالة ولكن بالعودة إلى القرآن الكريم نجد أن النبي (صلى الله عليه واله) تولى عدة مناصب مختلفة.
6. النظام السائد في مجتمع الجزيرة هو النظام القبلي فأحدث النبي (صلى الله عليه واله) تغييرات شاملة، فأرسى الوحدة بين القبائل وأرسل الولاة إلى المناطق الأخرى، وفرض الضرائب، ووضع العقوبات في حق المخالفين.

CONFLICT OF INTERESTS

There are no conflicts of interest

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

- [1]. علي عبد الرازق. الإسلام واصل الحكم. الطبعة الثانية. (1344).
- [2]. حيدر علي. شمول الشريعة. الناشر: دار واد- بيروت. الطبعة الأولى (1439).
- [3]. عبد المجيد الشرفي. الإسلام بين الرسالة والتاريخ. الناشر: دار الطليعة- بيروت، الطبعة الأولى.
- [4]. محمد عابد الجابري. الدين والدولة وتطبيق الشريعة. الناشر: مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت، الطبعة الأولى، (1996).
- [5]. محمد عمارة. الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية. الناشر: دار الشروق- مصر، الطبعة الأولى. (1409).
- [6]. أحمد الواعظي. الدولة الدينية. الناشر: الغدير للطباعة- بيروت، الطبعة الأولى. (1423).
- [7]. أحمد الواعظي. الحكومة الإسلامية. الناشر: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، الطبعة الأولى، (1433).
- [8]. محمد مهدي شمس الدين. في الاجتماع السياسي الإسلامي. الطبعة الأولى. (1412).
- [9]. الفضل بن الحسن الطبرسي. مجمع البيان في تفسير القرآن. الناشر: دار المرتضى- بيروت، الطبعة الأولى. (1427).
- [10]. محمد بن عاشر التونسي. التحرير والتنوير. الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، (1984).
- [11]. ابن أبي الحديد المعتزلي. شرح نهج البلاغة. المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى. (1378).
- [12]. محمد بن جرير الطبري. تاريخ الطبري. الناشر: دار التراث - بيروت، الطبعة الثانية (1387).
- [13]. أحمد احمد غلوش. السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني. الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (1424).
- [14]. عبد الملك بن هشام الحميري. السيرة النبوية. تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي. الطبعة الثانية، (1375).
- [15]. اسماعيل بن كثير الدمشقي. السيرة النبوية. تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة بيروت- لبنان.
- [16]. ناصر مكارم الشيرازي. الامثل في تفسير كتاب الله المنزل. الناشر: مدرسة الامام علي بن ابي طالب- قم، الطبعة الأولى. (1421).
- [17]. حسن طاهري خرم آبادي. الولاية والقيادة في الإسلام. الناشر: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي- بيروت، الطبعة الأولى. (2014).
- [18]. أحمد حسين يعقوب. النظام السياسي في الإسلام. الناشر: مؤسسة الفجر - بريطانيا- لندن.

- [19]. عبد المجيد الأقطش، يحيى سالم الأقطش. في السياسة الشرعية. الناشر: دار المسيرة- عمان، الطبعة الأولى. (1431).
- [20]. محمد جواد البلاغي. الرحلة المدرسية والمدرسة السيارة في نهج الهدى. الناشر: دار الزهراء- بيروت، الطبعة الثانية. (1414).
- [21]. جعفر مرتضى العاملي. الصحيح من سيرة النبي الأعظم. الناشر: دار الهادي- بيروت، الطبعة الرابعة. (1415).
- [22]. جعفر هادي السبحاني. سيد المرسلين. الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي- قم.
- [23]. اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي. البداية والنهاية. المحقق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي. الطبعة الأولى. (1408).
- [24]. علي بن ابراهيم الحلبي. السيرة الحلبيية. الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية.